الدلالة المعنوية للفاصلة القرآنية
دراسة تطبيقية على آيات المثل في الإنفاق
(٢٦١)- (٢٦٤)- (٢٦٥)- (٢٦٦)
من سورة البقرة

إعداد: د. مريم الدويلة

مدرس في قسم التفسير والحديث

كلية الشريعة الإسلامية – جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد:**

فإن المتدبر لكتاب الله يجد أن في كل جزء منه ما لا يحصى من دقة المعنى وجمال اللفظ، الذي ينم عن نظمه المعجز، وبلاغته الفائقة التي يعجز عن الإتيان بمثله جميع البشر.

ومما هو حري بالتدبر الفاصلة القرآنية التي جاءت متمكنة في موضعها، «غير نافذة ولا قلقة، متعلقًا معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًّا، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم»[(١)].

(١) «البرهان في علوم القرآن»، لبدر الدين محمد الزركشي، (ص ٦٥).

من هنا أولى العلماء اهتمامهم بدراستها، والوقوف عندها، فجاءت الرغبة لاختيار الفاصلة القرآنية لآيات المثل في الإنفاق في -سورة «البقرة»- نموذجًا لإبراز معانيها وبلاغتها وبيان تناسبها، بما يكشف عن جانب من جوانب الإعجاز البياني الذي ينتظم في القرآن كله، ورد على شبهات المستشرقين وأعداء الدين الذين زعموا أن القرآن لا يجمعه سياق.

كما أن هذه الدراسة تبينُ عن حكم سامية عند تدبر كلام الله وتفسيره؛ لذا كان لهذا البحث أهميته وسميته «الدلالة المعنوية للفاصلة القرآنية.. دراسة تطبيقية لآيات المثل في الإنفاق (٢٦١- ٢٦٤- ٢٦٥- ٢٦٦) من سورة البقرة ».

الدراسات السابقة في الموضوع:

- بعد البحث والسؤال وقفت على كتابين متخصصين عالجا جوانب مهمة من جوانب دراسة الفاصلة القرآنية، استفدت منهما في بعض جزئيات البحث:

الأول: كتاب «الفاصلة في القرآن»، لمحمد الحسناوي، تناول الفاصلة القرآنية بشكل كلي، حيث بين فيه معنى الفاصلة والفرق بينها، وبين القافية والسجع، وقد استفاض في ذكر فوائدها في القرآن الكريم.

والثاني: كتاب «الفاصلة القرآنية» لعبد الفتاح لاشين، تناول فيه هل وقع في القرآن سجع أو لا، ثم كانت له دراسة حول متشابه الفواصل، وذكر أمثلة حول ذلك معظمها كان من كتاب البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، وكتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي[1].

(١) ذهب شيخنا الدكتور أحمد حسن فرحات إلى أن هذا الكتاب لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني، المتوفي سنة ٥٣٥هـ. انظر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد: ١٥ سنة ١٩٨٩م.

منهج البحث:

يجمع هذا البحث بين المنهج التطبيقي التحليلي والمنهج الاستنباطي، حيث التأمل والتدبر والاستنتاج والاستخلاص والاستنباط، إضافة لما يأتي:

١- الرجوع إلى ما تيسر الرجوع إليه من أمهات المصادر التي أبرزت الفاصلة القرآنية سواء في ذلك كتب التفسير، أو علوم القرآن وفروعه من مصنفات الإعجاز القرآني، أو تلك التي تخصصت في موضوع الفاصلة القرآنية.

٢- تقوم الدراسة على اعتماد أن الفاصلة هي: آخر كلمة في الآية ولكن الدارسة البيانية للفاصلة القرآنية لا تقوم دراستها منفصلة عن جملتها وسياق الآية؛ لذا كان لنا وقفة عند المعنى الإجمالي للآية وجملة الفاصلة ومن ثم الفاصلة.

٣- قمت بالتعريف اللغوي، والاصطلاحي لبعض المصطلحات التي وردت في البحث.

٤- القيام بدراسة الفاصلة القرآنية دراسة تدبرية للوقوف على خواصها ولطائفها ومناسبتها الوثيقة لسياق الآية، بحيث يبدو النص متناسقًا ومترابطًا في تحقيق هدفه وغايته في التأثير والإقناع.

٥- عزوت النصوص المنقولة إلى مظانها الأصلية.

٦- الاقتصار على إظهار بعض المناسبات كمناسبة الآية لما قبلها ومناسبة الفاصلة لسياق الآية.

وأخيرًا: بينت اختياري ووجهة نظري كثمرة علمية وعملية لبحثي.

خطة البحث

جاء هذا البحث محتويًا على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

– المقدمة، وتشمل أهمية الموضوع، والهدف منه، والمنهج الذي اعتمدته في كتابته، وخطة البحث.

– المبحث الأول: معنى الفاصلة، وأهمية دراستها، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الفاصلة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أهمية دراسة الفاصلة في القرآن.

– المبحث الثاني: الدلالات المعنوية لفواصل آيات المثل في الإنفاق: ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦ من سورة «البقرة»، وينقسم إلى تمهيد، وأربعة مطالب:

المطلب الأول: التقرير بكمال علم الله – تعالى–، قال – تعالى–: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

المطلب الثاني: الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار، قال – تعالى–: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

المطلب الثالث: التحذير عن الرياء والترغيب في الإخلاص لكمال بصره – سبحانه وتعالى–، قال – تعالى–: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٥].

المطلب الرابع: التفكر في الكشف عن حكمة التشريع، قال – تعالى–: ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٦].

- **الخاتمة:** وتشمل أهم النتائج التي توصلت إليها.
- **الفهارس:** وتشمل: المراجع والمصادر المعتمدة في البحث.

واللهَ أسأل أن يبارك في هذا الجهد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب الدعاء، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
تعريف الفاصلة في اللغة والاصطلاح وبيان أهميتها

وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الفاصلة في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف الفاصلة في اللغة: «الفاصلة: لغة مشتقة من الفعل: فصل، وجمعها: فواصل، والفصل هو المسافة بين الشيئين، أو الحاجز بين الشيئين، والفصل هو القضاء بين الحق والباطل، والفاصلة هي خرزة خاصة تفصل بين الخرزتين في العقد ونحوه»(١).

يقول ابن فارس: «فصل: الفاء والصاد واللام، كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه»(٢).

ثانيًا: تعريف الفاصلة في الاصطلاح:

- عرف العلماء الفاصلة بعدة تعريفات، منها:

أ- عرفها الرماني بقوله: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى»(٣).

وإلى ذلك ذهب أبو بكر الباقلاني فقال: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»(٤).

وقد نقض عبد الكريم الخطيب هذا التعريف بقوله: «وعلى هذا، فالتعريف الذي عرف به القاضي أبو بكر الفاصلة ليس تعريفًا جامعًا مانعًا، كما يقولون؛ إذ إن قوله:

---

(١) انظر: «لسان العرب»، لابن منظور، (١١/ ٥٢١، ٥٢٢).

(٢) «معجم مقاييس اللغة»، لابن فارس، مادة: (فصل)، (٤/ ٥٠٨).

(٣) «النكت في إعجاز القرآن»، للرماني، (ص ٩٧).

(٤) «إعجاز القرآن»، للباقلاني، (ص ٢٠٥) .

«يقع بها إفهام المعاني» يلزم منه أن يكون للفاصلة دلالة مستقلة يتقابل مع المعاني الذي تحمله الآية التي هي فاصلتها، وهذا ما لا يمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض الآية، أو الفواصل التي هي آيات مستقلة بذاتها»[(١)].

- وعرفها أبو عمرو الداني: «كلمة آخر الجملة»[(٢)].

قال الجعبري: وهو خلاف المصطلح ولا دليل في تمثيل سيبويه {يوم يأت} و{ما كنا نبغ} وليسا رأس آية لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية.

- وعرفها الزركشي: «الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع»[(٣)][(٤)].

- يقول محمد الحسناوي في مناقشته للآراء السابقة: «وعلى الرغم من تباين هذه التعريفات يمكن أن نلحظ مواضع الاتفاق التالية بعد أن ننحي تعريف الداني؛ لأنه يختص بالفواصل اللغوية، لا الاصطلاحية:

١- موقع الفاصلة آخر الآية.

٢- التشاكل في الحروف والمقاطع.

٣- دورها في تحسين المعاني.

٤- دورها في استراحة الكلام.

٥- توضيحها بالمقارنة إلى القافية أو السجع أو الاثنين معًا»[(٥)].

ثم قال: «وبوسعنا أن نخرج الآن بتعريف للفاصلة، جامع مانع، مع شيء من

---

(١) «إعجاز القرآن»، لعبد الكريم الخطيب، (٢/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي، (ص ٥٠).

(٣) السجع: تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد. شروح التلخيص (٤/ ٢٤٥).

(٤) «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي، (ص: ٥٠).

(٥) «الفاصلة في القرآن»، لمحمد الحسناوي، (ص ٢٩).

التوفيق والتدقيق، فنقول: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر، والتفصيل: توافق أواخر الآي في حروف الرويّ، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس»[١].

وهذا ما أميل إليه، وعلى هذا المعنى سيكون عملنا في هذا البحث.

– هذا؛ ويتعلق معنى الفاصلة بقوله – تعالى–: ﴿ **بكتاب فصلناه** ﴾ [الأعراف: ٥٢]؛ «أي: بيَّنَّا معانيه، لم نَدَعْ فيها لبسًا، وجعلنا لآياته فواصل حال كون ذلك التفصيل»[٢].

ولمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي؛ «فمما وقف– عليه السلام– عليه دائمًا تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفها، أو التعريف الوقف التام، أو للاستراحة»[٣].

والقياسي: «هو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز»[٤].

وللفاصلة أقسام وأنواع تنظر في مظانها[٥].

ومرادنا من هذا البحث هو إظهار وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في الفاصلة القرآنية بما يتناسب مع سياق الآية ومضمونها، ويأتي مبينًا ومقررًا لمعانيها.

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، للبقاعي، (٧/ ٤٠٩).

(٣) «البرهان في علوم القرآن»، لبدر الدين الزركشي، (ص ٧٩).

(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ص ٧٨ . الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص (٢٩٠/٣ – ٢٩١). معترك الأقران للسيوطي: (٢٩/١). مناهل العرفان للزرقاني، (١/ ٢٧٥).

يقول الزركشي: «اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولًا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيت»[(١)].

المطلب الثاني: أهمية دراسة الفاصلة في القرآن

تمهيد:

الفاصلة القرآنية سمة فريدة من سمات القرآن الكريم، تدل على بلاغته وجماله، وتعين على فهم الآية، وإظهار حكمه ومقاصده، من هنا مست الحاجة إلى التدبر والتأمل في الفاصلة القرآنية لإبراز معانيها ولطائفها وبيان تناسبها مع سياق ومضمون الآية وفيما يأتي أتناول أهمية الفاصلة القرآنية بشيء من التفصيل.

- أولًا: إبرار وجه من وجوه الإعجاز القرآني:

التأمل والبحث في الفاصلة القرآنية يكشف عن دقة اختيار القرآن لألفاظه؛ بحيث لا تسد لفظة محل أختها ولا يمكن إيجاد البديل لها فهي مستقرة محكمة في محلها، كما يكشف عن تناسب دقيق بين بداية الآية وما تضمنته من معانٍ، وبين ختامها، فيقع بذلك إحكام الآية مضمونًا ومعنى، كما يكشف عن دقائق المناسبات بين الآيات بما يكشف عن الوحدة الموضوعية للقرآن، ويبرز وجه من وجوه إعجازه.

ولقد ذكر الباقلاني من وجوه إعجاز القرآن الوجه الثالث: «أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه»[(٢)]، ومن ضمن ذلك النظم العجيب للفاصلة القرآنية.

---

(١) «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي، (ص ٦٥).

(٢) «إعجاز القرآن» للباقلاني، ص : ٥١ .

يقول الرماني: «فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها»[١].

هذا؛ وممن وقف على هذه القضية وناقشها مناقشة طيبة الإمامان: بدر الدين الزركشي والزمخشري، حيث نقل الزركشي كلام الزمخشري قائلًا: «ذكر الزمخشري في «كشافه» القديم[٢] أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة[٣] في السمع، السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنظمة، أما أن تُهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه على بال فليس من البلاغة في فتيل[٤] أو نقير[٥] »[٦].

ومن ذلك على سبيل المثال، لا الحصر، ما يلي:

أ- «لما سمع بعض العرب قارئًا يقرأ: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم»، قال: ليس هذا كلام الله – تعالى-، فقال القارئ: أتُكذب بكلام الله – تعالى-؟ فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿ **والله عزيز حكيم** ﴾، فقال الأعرابي: صدقت، عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع. ولهذا إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب، أو بالعكس؛ ظهر

(١)«النكت في إعجاز القرآن»، للرماني، (ص٩٧)، ضمن كتاب «ثلاث رسائل في الإعجاز»، (ص ٩٧).

(٢) لم أقف عليه في الكشاف، انظر: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، ص ٦١.

(٣) المونقة، العجيبة الحسنة. انظر: «معجم مقاييس اللغة»، لابن فارس، مادة: (أنق) (١٤٨/١).

(٤) الفتيل: ما يكون في شق النواة، كأنه فتِل» معجم مقاييس اللغة (لابن فارس) مادة: فتل (٤٧٢/٤).

(٥) النقير: نكته في ظهر النواة، كأن ذلك الموضع نقر عنه حتى خرج منه» انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس مادة : نقر (٤٦٩/٥)، والفتيل والنقير يضربان مثلا للشيء التافه الحقير القليل، انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (نقر)، (فتل) (٥/ ٣٣٤٤).

(٦) «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي، ص ٦١ .

تنافر الكلام وعدم انتظامه»[١].

ب- قوله - تعالى-: ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ [الضحى: ٣]، يقول ابن عاشور: «حذف مفعول ﴿ قلى ﴾ لدلالة ﴿ ودعك ﴾ عليه»[٢]، «وهو إيجاز لفظي لظهور المحذوف»[٣].

وتشير بنت الشاطئ إلى أن الفاصلة هنا جاءت لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي فنقول: «فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي، وإنما الحذف جاء لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل»[٤]، ثم تفسير هذا الحذف بما يقتضيه الخطاب القرآني من من «حساسية معنوية بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشي خطابه- صلى الله عليه وسلم- في مقام الإيناس: ما قلاك لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شيء فيه مثل ذلك»[٥].

ج- وقوله - تعالى-: ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾[٦] [النجم: ٢١، ٢٢].

يقول جلال الدين السيوطي عند هذه الفاصلة: «إيثار أغرب اللفظتين، نحو:

---

(١) «بدائع التفسير الجامع لما فسر الإمام ابن القيم»، (١/ ٤٣٢).

(٢) «تفسير التحرير والتنوير»، لابن عاشور، (٣٠/ ٣٩٧).

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) «التفسير البياني للقرآن الكريم»، لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، (١/ ٣٥).

(٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٦) «يقول جل ثناؤه: قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة؛ لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم وآثرتم أنفسكم بما ترضونه». «جامع البيان»، لابن جرير الطبري، (٢٢/ ٥١).

﴿قسمة ضيزى﴾، ولم يقل: جائرة[١]؛ لمراعاة فواصل كل سورة»[٢].

أقول: القول بمراعاة الفواصل كتعليل فقط يغلق باب النكات البلاغية واللطائف والدقائق المعنوية التي لا تنقضي في القرآن الكريم» وممن تأمل ووقف عند هذه الفاصلة الرافعي حيث يقول: «وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة ﴿ ضيزى﴾ من قوله – تعالى–: ﴿ تلك إذًا قسمة ضيزى﴾، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها– وهي سورة «النجم»– مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع أولادهم البنات، فقال – تعالى–: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾.

فكانت غرابة اللفظة أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأول[٣]، والتهكم في الأخرى[٤]، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى الأسفل والأعلى[٥]، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار

(١) «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، لجلال الدين السيوطي، (١/ ٢٨).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) أي: قوله تعالى: ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾.

(٤) أي: قوله تعالى: { تلك إذًا قسمة ضيزى﴾.

(٥) المدان المقصودان: المد الذي في حرف الياء بعد الضاد، والمد الذي في آخر كلمة { ضيزى﴾، فالمد الأول الأول في هذه الكلمة متسفل، أما الآخر فهو متصعد إلى أعلى الفم.

بغرابتها اللفظية»[(١)].

«فكانت الفاصلة ﴿ ضيزى﴾ مناسبة للتهجين والتشنيع، كأنما أشارت خساسة اللفظة إلى خساسة أفهامهم، وهذا من أعجب ما ورد في القرآن الكريم من مطابقة الألفاظ لمقتضى الحال»[(٢)].

ثانيًا: دور الفاصلة في كشف جماليات الأداء الصوتي التي تتميز به تلاوة القرآن الكريم، وهو من جملة المقصود من الإعجاز.

فمثلا: «الوقف عند قوله: ﴿**كعصف مأكول**﴾ (الفيل: ٥) ليس بقبيح. وكيف يقال إنه قبيح وهذه السورة تقرأ في الركعة الأولى والتي بعدها في الركعة الثانية، فيتخللها من قطع القراءة أركان؟ وليس أحد من العلماء يكره ذلك، وما كانت العلة فيه إلا أن قوله – تعالى–: ﴿**فجعلهم كعصف مأكول**﴾ (الفيل: ٥) انتهاء آية فالقياس على ذلك: ألا يمتنع الوقف عند أعجاز الآيات سواء كان الكلام يتم، والغرض ينتهي أو لا يتم، ولا ينتهي»[(٣)]

يقول القرطبي عند هذه الفاصلة: «الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم، ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور، ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن، فثبت بذلك أن الفاصل من محاسن الكلام المنظوم، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه، وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن، ويشبه المنثور، وذلك إخلال بحق المقروء»[(٤)].

وأشار الرافعي إلى الفواصل القرآنية، وجعلها في جملة الأمور التي أعطت للنظم

(١) «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، لمصطفى صادق الرافعي، (ص ١٥٨).
(٢) «إعراب القرآن وبيانه»، لمحي الدين درويش، (٩/ ٣٥٦).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي، (٢٠/٢٠٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي، (٢٠/٢٠٧).

القرآني جمالًا وإعجازًا، فيقول: «وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن، إلا صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الأصوات، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب»(١).

وهذا القول بالمناسبة اللفظية والصوتية ينبغي ألا تكون جهد العالم فإن وراء هذه الألفاظ معاني عظيمة يجب النظر إليها أولاً يقول الأستاذ على الجندي: «ومن الحق أن لا ينظر إلى بلاغة القرآن هذه النظرة الضيقة التي لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ فإن هذه الصورة الحسية مع فخامتها وجمالها لا تتجلي في روعتها الحقيقية الفاتنة إلا إذا صحبها بيان لما اكتن فيها من بدائع الأسرار ودقائق الأغراض»(٢).

ثالثا: إيضاح المشكل ودفع ما يوهم ظاهره التعارض:

- إن البحث الدقيق يكشف وجه التناسب بين الفاصلة والسياق، وهنا تأتي أهمية دراسة هذا العلم والتعمق فيه؛ لبيان المشكل، ودفع ما يوهم ظاهره التعارض.

مثال ذلك: قال - تعالى-: ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [المائدة: ١١٨]، مع كون المتبادر أن تختم: (أنت الغفور الرحيم)، لكن سرعان هذا الوهم الناجم عن هذه البداية سرعان ما يزول أثره عند التدبر وإمعان النظر فتظهر المناسبة حسنة لطيفة، وفي هذه المناسبة أوجه منها:

- جاءت هذه الآية في سياق مخاطبة الله - تعالى- لعيسى عليه السلام «قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله»(٣)، قال - تعالى-: ﴿**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**﴾ [المائدة: ١١٦]، فيرد عيسى- عليه

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي، ص ١٥٠ .

(٢) صور البديع: فن الأسجاع، لعلي الجندي، (٢٠/ ١٨٩).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير، (٣/ ٢٣٢).

السلام–، قال – تعالى–: ﴿**ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] «أن مقصود عيسى– عليه السلام– تفويض الأمور كلها إلى الله – تعالى–، وترك الاعتراض بالكلية؛ ولذلك ختم الكلام بقوله: ﴿ **فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾؛ يعني: أنت قادر على ما تريد في كل ما تفعل، لا اعتراض لأحد عليك»[(١)].

«فإنه لو قال: (أنت الغفور الرحيم) أشعر ذلك بكونه شفيعًا لهم، فلما قال: ﴿**فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ دل ذلك على أن غرضه تفويض الأمر بالكلية إلى الله – تعالى–، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه»[(٢)].

«ففوض أمرهم إلى الله، فهو أعلم بما يجازيهم به؛ لأن المقام مقام إمساك عن إبداء رغبته لشدة هول ذلك اليوم، وغاية ما عَرَّضَ به عيسى أنه جوز المغفرة لهم رحمة منهم بهم، وقوله: ﴿**فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ ذكر العزيز؛ كناية عن كونه يغفر عن مقدرة، وذكر الحكيم؛ لمناسبته للتفويض؛ أي: المحكم للأمور العالم بما يليق بهم»[(٣)].

ومنها: «أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله – تعالى–»[(٤)]؛ لأن المعنى متعلق «بالشرطين كليهما، أولهما وآخرهما؛ إذ تلخيصه: إن تعذبهم فأنت عزيز حكيم، وإن تغفر لهم فأنت العزيز الحكيم في، في الأمرين كلاهما من التعذيب والغفران، فكان ﴿العزيز الحكيم ﴾ أليق بهذا المكان لعمومه، وأنه يجمع الشرطين، ولم يصلح (الغفور

(١) «مفاتيح الغيب»، للفخر الرازي، (١٢/ ١٤٥).

(٢) السابق (١٢/ ١٤٦).

(٣) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور، (٧/ ١١٧)، وانظر: معترك الأقران، لجلال الدين السيوطي، ص ٣٧ .

(٤) «البحر المحيط»، لأبي حيان، (٤/ ٦٦).

الرحيم) أن يحتمل ما احتمله (العزيز الحكيم) »[١].

نتبين مما سبق: أن الفاصلة القرآنية جاءت متناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها وسياقها الذي نتحدث فيه.

رابعا: رد شبهات المستشرقين وأعداء الدين حول الوحدة القرآنية:

إن في دراسة هذا الموضوع ردًّا واضحًا على أعداء الدين والمستشرقين الذين يطعنون في وحدة القرآن الكريم عمومًا وفي تناسب الفاصلة في القرآن خصوصًا، حيث اختلقوا شبهات حول القرآن، منها: إعادة ترتيب آيات القرآن، حيث زعموا أن آيات القرآن لا يجمعها سياق، واستدلوا على هذه الدعوة الباطلة بالفواصل القرآنية، فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية، «وكان القرآن يعطي للقاري أنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية، ويؤكد صحة ذلك طريقة ختم هذه الآيات، بآيات مثل: ﴿ إن الله سميع عليهم﴾، ﴿إن الله عليم حكيم﴾، ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾، وأن هذه الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها، وإنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية»[٢].

أقول: «إن هذه الفواصل مبنية أولًا على مراعاة المعنى، ومن ثم على اللفظ والنظم[٣]، وإن كان اللفظ والنظم ليس مطردًا.

وقد ذكر البقاعي إلى أن القرآن قد يقع فيه شيء من الكلام الموزون، وشيء من السجع، إلا أنه «وإن وقع فيه كل من الأمرين فغير مقصود إليه ولا معول عليه، بل لكون المعنى انتظم به على أتم الوجوه فيؤتى به لذلك»[٤]، وقال في موضع آخر:

---

(١) «البحر المحيط»، لأبي حيان، (٤/ ٦٧).

(٢) «قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية.. نقد مطاعن ورد شبهات»، لفضل حسن عباس، (ص ٧٩).

(٣) ذكرت بعضا من الأمثلة في النقطة الأولى والثالثة، كما ذكر الدكتور فضل عباس بعضًا من الأمثلة القرآنية لدرء هذه الافتراءات. انظر: تفصيل ذلك في «قضايا قرآنية، لفضل عباس، (ص ٧٩- ٩٣).

(٤) «نظم الدرر»، للبقاعي، (٩/ ٥٩).

«وإذا تأملت الفواصل في الإتيان بها تارة بكثرة، وتارة بقلة، وتارة تترك بالكلية، ويؤتي في كل آية بفاصلة لا توافق الأخرى، علمت أن هذا المذهب هو الصواب، ولا سيما آخر سورة «اقرأ» »[(١)(٢)].

خامسا: الاستعانة بعلم معرفة فواصل الآي في تثبيت حفظ القرآن الكريم

من فوائد دراسة الفواصل القرآنية تثبت حفظ القرآن الكريم، حيث يقع اللبس أحيانًا في ختام الآية، فيعين علم معرفة فواصل الآي على تجنب ذلك، ولقد عنى العلماء المتقدمون والمتأخرون بالتأليف في الآيات المتشابهات[(٣)] جمعًا وتحليلًا[(٤)].

* * *

(١) مراد البقاعي الآية، رقم (١٩): { كلا لا تطعه واسجد واقترب }، إذ إنها تختلف في فاصلتها عن بقية فواصل آيات السورة.

(٢) «نظم الدرر»، للبقاعي، (٩/ ٦٠).

(٣) يراد بالآيات المتشابهات: «التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة ونقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة أو نقصان» البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، تحقيق عبد الفادر أحمد عطا (٦٣/١).

(٤) من أهم الكتب التي اعتنت في ذلك: كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل»، للخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠)، «البرهان في متشابه القرآن»، للكرماني (ت: ٥٠٥)، و«ملاك التأويل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل»، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨)، ومن الكتب الحديثة «متشابه النظم في قصص القرآن الكريم»، لعبد الغني الراجحي.

المبحث الثاني
الدلالات المعنوية لفواصل آيات المثل في الإنفاق
(٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦) من سورة البقرة

تمهيد:

«الفاصلة في القرآن الكريم لها مزية هامة ترتبط بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر من الأسماع انحدارًا، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدًا لها، وبحيث إذا حذفت اختل المعنى في الآية، ولو سكت عنها القارئ لاستطاع السامع أن يختمه إنسياقًا مع الطبع والذوق السليم، فليست فواصل القرآن مجرد توافق ألفاظ وأوزان، بل لها علاقة وثيقة بما قبلها من نص في الآية»[1].

وهذا وتقوم الدراسة على اعتماد أن الفاصلة هي: كلمة آخر الآية ولكن عند دراسة الفاصلة لابد من مراعاة علاقات الفاصلة؛ لأنها في وضعها ليست ناشزة ولا شاذة بل مرتبطة بجملتها وسياق ومضمون الآية ارتباطًا محكما؛ لذا كان لنا وقفة عند المعنى الإجمالي للآية وجملة الفاصلة ومن ثم الفاصلة.

وينقسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: التقرير بكمال علم الله – تعالى–.

قال – تعالى–: ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**﴾ [البقرة: ٢٦١].

المطلب الثاني: الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار.

قال – تعالى–: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

---

(1) «الفاصلة القرآنية» لعبد الفتاح لاشين، ص : ٣٧ – ٣٨ .

المطلب الثالث: التحذير عن الرياء والترغيب في الإخلاص لكمال بصره سبحانه و– تعالى–.

قال – تعالى–: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٥].

المطلب الرابع: التفكر في الكشف عن حكمة التشريع.

قال – تعالى–: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٦].

والتفصيل في الآتي:

المطلب الأول: التقرير بكمال علم الله – تعالى–

قال – تعالى–: ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**﴾ [البقرة: ٢٦١].

أولا: معنى المثل:

«شبه– سبحانه– نفقة المنفق في سبيله، سواء كان المراد به الجهاد، أو جميع سبل الخير من كل بر بمن بذر بذرًا، فأنبتت كل حبة سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مئة حبة، والله يضاعف بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ونفع نفقته، وقدرها ووقوعها موقعها، فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان»[(١)].

«وهذه الآية كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها المقرض، ومثل

(١) «أعلام الموقعين»، لابن القيم، (١/ ١٤٥).

سبحانه بهذا المثل إحضارًا لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة، حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته، كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة، فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني، فيقوى إيمان المنفق، وتسخو نفسه بالإنفاق»[(١)].

وقوله – تعالى–: ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء**﴾، قيل: المعنى: والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، لا لكل منفق، بل يختص برحمته من يشاء، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه، ولصفات المنفق وأحواله في شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع.

وقيل: والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك، فلا يقتصر به على السبعمائة، بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة[(٢)].

– ومهما يكن فإن الاتجاه واحد، وهو بيان سعة عطاء الله – تعالى–، وسعة نمائه، وهو الرزاق ذو القوة المتين[(٣)].

ثانيا: الدلالة المعنوية في تركيب جملة الفاصلة:

جاءت جملة الفاصلة هنا: ﴿**والله واسع عليم**﴾، جملة استئنافية اسمية[(٤)]، الغرض منها التقرير والتأكيد على «ثبوت هاتين الصفتين لله– عز وجل–، وهما: الواسع، والعليم، وإثبات ما تضمناه من صفة، وهما السعة والعلم»[(٥)].

(١) «بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية»، (١/ ١٩٣).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، وانظر: «النكت والعيون»، للماوردي، (١/ ٣٣٦).

(٣) «زهرة التفاسير»، لمحمد أبو زهرة، (١/ ٩٧٤).

(٤) «التفصيل في إعراب آيات التنزيل»، لعبد اللطيف الخطيب وآخرون (٢/ ٢١٣ – ٢١٤).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» لابن عثيمين، سورة البقرة (٣/ ٣١٢).

هذا؛ وقد خص الله جملة الفاصلة بالوصل، وعدم التأكيد، قال – تعالى–: ﴿**والله واسع عليم**﴾، ولم يعبر بالفصل والتأكيد، كما في قوله – تعالى–: ﴿**إن الله واسع عليم**﴾ [البقرة: ١١٥]، نجد أن سياق الآية حتم ذلك.

فقوله: ﴿ والله واسع عليم﴾ فقد بدئت بقوله – تعالى–: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾، فلما «ضاعف سبحانه و– تعالى– للزارع حبته، فهو يضاعف للمنفق نفقته، عطف عليه قوله: ﴿والله واسع عليم﴾ إشارة إلى أن سعته قد أحاطت بجميع الكائنات، فهو جدير بالإثابة في الدارين، وأن علمه قد شمل كل معلوم، فلا يخشى أن يترك عملاً»[(١)].

أما قوله: ﴿إن الله واسع عليم﴾ فقد بدئت بقوله – تعالى–: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾، «فلما أريد تعليل ذلك، وتأكيد الخبر، تقوية لمضمون الخبر عند المؤمنين، وهم غير شاكين ولا منكرين، ناسب ذلك قوله: ﴿ إن الله واسع عليم ﴾[(٢)].

ثالثا: الدلالة المعنوية في الفاصلة:

(أ) **جمال الفاصلة واستقرارها:** ختم الله– عز وجل– الآية بـ«عليم» مسبوقًا بلفظ واسع وهما وصفين لاسمين كريمين هما: الواسع والعليم، ومعناهما: «الواسع هو الذي يسع خلقه كلهم بالكفاية، والأفضال والجود والتدبير»[(٣)]، وهو «الواسع المغفرة والقدرة والعطاء، وهو الواسع العظمة والسلطان والملك، بل هو الواسع الصفات كلها، والنعوت ومتعلقاتها بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه– عز وجل–»[(٤)].

(١) انظر: «نظم الدرر»، للبقاعي، (٤/ ٧٦).

(٢) «استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات»، لسعد عبد العظيم محمد، ص ١٥٣ .

(٣) «جامع البيان»، لابن جرير الطبري، (٢/ ٤٦٠)، عند قوله تعالى: {إن الله واسع عليم}[البقرة: ١١٥].

(٤) «تيسير الكريم الرحمن»، للسعدي، (٥/ ٦٣١).

و«العليم» هو «العالم العليم العلام، وهذه الأوصاف للمبالغة، ويقصد بها في صفات الله تكثير المتعلق لا تكثير الوصف؛ لأن علمه – تعالى– واحد لا تكثير فيه، فلما تعلق علمه – تعالى– بالجميع كلية وجزئية، دقيقة وجليلة، معدومة وموجودة، وصف نفسه بالصفة التي دلت على المبالغة»[(١)] فالعليم اسم من أسماء الله – تعالى– متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله – تعالى–: ﴿**علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾ (طه: ٥٢)، وعلمه عز وجل هو العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، قال – تعالى–: ﴿**وسع ربي كل شيء علما**﴾ [الأنعام: ٨٠]»[(٢)]

يقول ابن جرير الطبري: «وأما قوله: ﴿عليم﴾ فإنه يعني أنه عليم بأفعالهم، لا يغيب عنها منها شيء، ولا يعزب عن علمه، بل هو بجميعها عليم»[(٣)].

نتبين مما سبق: أن الفاصلة «عليم» جاءت مستقرة في مكانها بحيث لو لم تقرأ الفاصلة أو لو سقطت لاختل المعنى أو اضطرب فهم القارئ للآية.

ب– مناسبة الفاصلة للآية:

«لما كان التقدير: فكما ضاعف – سبحانه وتعالى– للزارع حبته، فهو يضاعف للمنفق نفقته، عطف عليه قوله: ﴿**والله يضاعف لمن يشاء**﴾»[(٤)]، ولكي لا يقع في نفس قارئ وهم بالاستكثار أو الاستبعاد، ختم –سبحانه وتعالى– الآية بهذين الوصفين: ﴿ والله واسع عليم﴾»[(٥)].

---

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١٣٦/١)، وروح المعاني، للآلوسي (٢١٧/١).

(٢) «النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لأمين الأنصاري (١/ ٢٥).

(٣) «جامع البيان»، لابن جرير الطبري، (٢/ ٤٦٠).

(٤) «نظم الدرر»، للبقاعي، «٤/ ٧٦).

(٥) «زهرة التفاسير»، لمحمد أبو زهرة، (١/ ٩٧٤).

«أي: بما له من الكمال في كل صفه»[١].

– يقول ابن القيم، مبينًا مناسبة الفاصلة لسياق الآية: «ثم ختم الآية بإسمين من أسمائه الحسنى، مطابقين لسياقها، وهما الواسع والعليم، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطاؤه، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة، وهو أهل لها، فإن كرمه وفضله – تعالى– لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه»[٢].

«لأنه لو عومل العامل بالعدل لكانت الحسنة بمثلها، لكن الله يعامله بالفضل والزيادة، فتكون الحبة الواحدة سبعمائة، بل أزيد؛ لقوله – تعالى–: ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾[٣]، وحتى لا يتسرب إلى النفوس شك أتبع هذه البشارة بقوله: ﴿ والله واسع عليم ﴾.

فجاءت الفاصلة القرآنية مؤكدة لما سبقها من معانٍ، «والتمكين هو: أن يمهد قبل الفاصلة تمهيدًا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقًا معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًّا، بحيث لو طرحت اختل المعنى، واضطرب الفهم»[٤]. «وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه»[٥].

---

(١) «نظم الدرر»، للبقاعي، (٤/ ٧٦).

(٢) «بدائع التفسير»، لابن قيم الجوزية، (١/ ١٩٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، لابن عثيمين، سورة البقرة، (٣/ ٣١١).

(٤) «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي، (ص ٦٥).

(٥) «الإتقان في علوم القرآن»، للسيوطي، (٣٠٢/٣).

وعلى هذا يبين أن أمر الفاصلة برهان صدق على هذا القرآن، وأنه لا ريب فيه من رب العالمين، وليس كما جاء في الموسوعة البريطانية من أنها جعلت ختم الآيات – الفاصلة– دليلًا على أن القرآن مجرد إنشاء ذي أسلوب عشوائي، لا غرض له إلا أن يأتي بما ختم به الآيات، دون هدف أو حكمة! سبحانك هذا بهتان عظيم!»[(١)].

رابعًا: قيم معنوية ودلالات تستفاد من الفاصلة:

١– الإخلاص في العمل: فقد ختمت الآية بفاصلة «عليم» «لكي يستشعر العبد عند إنفاقه ما لهذا الوصف للذات العلية «عليم» من دلالات فهو سبحانه عليم بعباده، عليم بالسر والجهر، وبما يجري على الألسنة وما تخفيه الصدور، وعليم بالأعمال، والنيات التي تنبعث عنها هذه الأعمال وعليم بالأعمال ونتائجها، وهو سبحانه بقدرته القاهرة هو الذي يرتب المسببات على الأسباب، وينشئ بحكمته العلاقة المؤثرة بينهما، فلا يؤثر السبب في المسبب إلا بقدرته وإرادته التي تسير على مقتضى علمه الذي شمل كل شيء»[(٢)].

٢– الثقة بما عند الله– سبحانه–: ويستفاد من الآية بهذين الوصفين للذات العلية، «لكي لا يقع في نفس قارئ وهم بالاستكثار أو الاستبعاد، فإنه لا بعيد على قدرته – تعالى–، ولا كثير أمام إرادته، وإن كل شيء عند الله بمقدار، وهو يدبر كل أمر بعلمه وحكمته، وهو العزيز الحكيم وهو بكل شيء عليم»[(٣)].

٣– البذل والعطاء في سبيل الله: كما يستفاد من ختم الآية بهذين الوصفين للذات العلية دون غيرهما؛ لأن «أمر الإنفاق في سبيل الله أشق الأمور على النفوس، لا سيما إذا اتسعت دائرة المنفعة فيما ينفق فيه، وبعدت نسبه من ينفق عليه عن المنفق، فإن

(١) «قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية»، لفضل عباس، (ص ٩٣).

(٢) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٣/٥٠).

(٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (٢/٩٧٤).

كل إنسان يسهل عليه الإنفاق على نفسه وأهله وولده إلا أفرادًا من أهل الشح المطاع وهذا النوع من العطاء لا يوصف صاحبه بالسخاء، ومن كان له نصيب من السخاء سهل عليه الإنفاق بقدر هذا النصيب وإنما يصعب على المرء الإنفاق على منقعة من يبعد عنه؛ لأنه فطر على ألا يعمل عملا لا يتصور لنفسه فائدة منه فعلمهم الله – تعالى– أن ما ينفقونه في المصالح يضاعف لهم أضعافًا كثيرة فهو مفيد لهم في دنياهم وآخرتهم[1]».

المطلب الثاني: الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار

قال –تعالى–: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة: ٢٦٤].

أولا: معنى المثل:

يقول ابن جرير الطبري: «ثم رجع– جل ذكره– إلى ذكر المنافقين الذين ضرب المثل لأعمالهم، فقال: فكذلك أعمالهم بمنزلة الصَّفوان الذي كان عليه تراب، فأصابه الوابلُ من المطر، فذهب بما عليه من التراب، فتركه نقيًّا لا تراب عليه ولا شيء يراهُم المسلمون في الظاهر أنّ لهم أعمالا – كما يُرى التراب على هذا الصفوان – بما يراؤونهم به، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله، اضمحلّ ذلك كله، لأنه لم يكن لله كما ذهب الوابل من المطر بما كانَ على الصفوان من التراب، فتركه أملسَ لا شيء عليه فذلك قوله: ﴿ لا يقدرون ﴾[2]: «يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا، لأنهم لم يعملوا لمعادهم، ولا لطلب ما عند الله في الآخرة، ولكنهم عملوه رئاء

([1]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (٤/ ٦٦٢).

الناس وطلبَ حمدهم. وإنما حظهم من أعمالهم، ما أرادوه وطلبوه بها»[١]،

ثانيا: الدلالة المعنوية في تركيب جملة الفاصلة:

جاءت جملة الفاصلة هنا: ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾: جملة استئنافية اسمية[٢]، الغرض منها التقرير والتأكيد، على أن الله «لا يسدّدهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، فيوفقهم لها، وهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه يتركهم في ضلالتهم يعمهون، فقال جل ثناؤه ذكره للمؤمنين: لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفةُ أعمالهم، فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنِّكم على من تصدقتم بها عليه، وأذاكم لهم، كما بطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله»[٣].

هذا؛ وقد خصت جملة الفاصلة هنا بالوصل وعدم ذكر إن، قال – تعالى–: ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾، ولم يعبر سبحانه بالفصل وذكر إن، كما في قوله – تعالى–: ﴿**إن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ [المائدة: ٦٧] لمناسبة تقتضي ذلك منها:

لأن آية المائدة بدئت بقوله: ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ**﴾، فلما أريد تعليل الحكم وتأكيده؛ لأن هؤلاء مكذبون منكرون؛ ناسبه الفصل، وذكر إن بقوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾[٤].

أما قوله: ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾، فقد بدئت بقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾، «فلما أريد مواصلة الحديث عن ذم

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) انظر: «التفصيل في إعراب آيات التنزيل»، لعبد اللطيف الخطيب، وآخرون (٢/٣٣).

(٣) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (٤/ ٦٦٢).

(٤) «استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات»، لسعد عبد العظيم محمد، (ص ٤٢٦).

المن والأذى في الصدقات، وكان الخطاب للذين آمنوا؛ ناسبه العطف بالواو، وعدم ذكر إن لتقرير مضمون ما قبله بأن المن والأذى من خصائص الكفار، ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها»[١].

ثالثا: الدلالة المعنوية للفاصلة:

(أ) جمال الفاصلة واستقراراها:

جاءت فاصلة الآية بلفظ «الكافرين» للدلالة على أن «من قضى الله عليه بالكفر لا تمكن هدايته»[٢]، وأن المنافق كافر؛ لقوله – تعالى-: ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ بعد أن ذكر ما يتعلق بصفة المنافق، وهو الذي ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا ينطبق تمامًا على المنافقين، ولا ريب أن المنافقين كفار، وإن تظاهروا بالإسلام[٣].

فجاءت الفاصلة «الكافرين»: «لتحذير المؤمنين من تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم، فإن من أحوالهم المن على من ينفقون وأذاه»[٤].

كما أنها تقرير « لمضمون ما قبلها، وفيها تعريض بأن كلاً من الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار، ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها»[٥].

ب– مناسبة الفاصلة للآية: «ولما كان كل من المؤذي والمرائي قد غطى محاسن عمله بما جره من السوء، قال: ﴿ القوم الكافرين ﴾، وفي ذكره ولهذه الجملة وحدها

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن عثيمين، سورة البقرة (٣/٣٢٥).

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور، (٣/ ٥٠).

(٥) انظر: «إرشاد العقل السليم»، لأبي السعود (١/٤٠١).

أشد ترهيب للمتصدق على هذا الوجه»[١].

هذا؛ وقد خصت الآية التي بين أيدينا بفاصلة: ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين﴾، ولم يعبر- سبحانه-، كما في آيات أخرى بلفظ: ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [البقرة: ٢٥٨]، أو ﴿ **والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾ [الأنعام: ١٠٨]، لحكمة مناسبته منها:

قوله - تعالى-: ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾، «فتبدأ بقوله - تعالى-: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾، فلما كان النفاق وعدم الإيمان كفرًا؛ ناسبه قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾»[٢].

وأما قوله: ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ فالآية «تتحدث عن الذي حاج إبراهيم في ربه، وادعى أنه يحيي ويميت، فلما كان هذا قد ظلم نفسه بادعاء ما لا حول له فيه؛ ناسبه قوله: ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾»[٣].

أما قوله: ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾، «فتبدأ بقوله - تعالى-: ﴿ واتقوا الله واسمعوا ﴾، فلما كان من لم يتق ولم يسمع ما أمر به الله فقد فسق عن طاعة الله، ناسبه قوله: ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾»[٤].

رابعًا: قيم معنوية ودلالات تستفاد من الفاصلة:

١- **الإخلاص في النفقة من خواص الإيمان:** جاءت الفاصلة (الكافرين) في سياق ختام الآية للإشارة إلى أن الإنفاق من غير مَنّ ولا أذى هو من خواص الإيمان،

(١) «نظم الدرر»، للبقاعي، (٤/ ٨١).

(٢) «استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات»، لسعد عبد العظيم محمد، (ص ٢٧٠).

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

فالله – سبحانه وتعالى– يهدي إليه المؤمنين، ولا يهدي إليه الكافرين، وللإشارة إلى أن المن والأذى والرياء إنما هي صفات الكافرين فيجب أن يقلع عنها أهل الإيمان، فهي صفات لا تليق بهم»[(١)].

٢– **تطهير النفس:** وجاءت الفاصلة «الكافرين» لبيان أن المن والأذى كفر وللنعمة التي أنعم الله بها «فيجب على المؤمن أن يطهر نفسه من هذه الأهواء المردية، وليضبط نفسه إذا أعطى، فلا ينطق لسانه بالمنّ، ولينق قلبه من الرياء فإنه يأكل الحسنة يجعلها سيئة»[(٢)].

٣– **الله هو الغني ونحن الفقراء إليه:** كما جاء الفاصلة «الكافرين» «إشارة إلى أن الله غني عن عطاء المنان المؤذي أو المرائي، إن أعطوا لنفع عام أو لدفع أذى الكافرين، فإن الله سيتولى الكافرين، وهو لا يهديهم إلى سبيل الانتصار على المؤمنين الصادقين في إيمانهم؛ لأنهم أولياء الله الذين قال فيهم: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [(٣)] [يونس : ٦٢].

المطلب الثالث: التحذير عن الرياء والترغيب في الإخلاص لكمال بصره سبحانه و– تعالى–

قال – تعالى–: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٥].

أولًا: معنى المثل: «وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ، فَيَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَيُسْبِلُونَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَنٍّ عَلَى مَنْ تَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِ وَلَا أَذًى مِنْهُمْ لَهُمْ بِهَا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ

(١) زهرة التفاسير، لأبي زهرة ، (٢/ ٩٨٣).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وَتَصْدِيقًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِوَعْدِهِ، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥] وَالْجَنَّةُ: الْبُسْتَانُ»[١]، ﴿بِرَبْوَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] وَالرَّبْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ: مَا نَشَزَ مِنْهَا فَارْتَفَعَ عَنِ السَّيْلِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهَا بِذَلِكَ- جَلَّ ثناؤُهُ-؛ لِأَنَّ مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْمَسَايِلِ وَالْأَوْدِيَةِ أَغْلَظُ، وَجِنَانُ مَا غَلُظَ مِنَ الْأَرْضِ أَحْسَنُ وَأَزْكَى ثَمَرًا وَغَرْسًا وَزَرْعًا مِمَّا رَقَّ مِنْهَا[٢].

وَإِنَّمَا يَعْنِي - تعالى- ذِكْرُهُ بِهَذَا الْمَثَلِ كَمَا ضُعِّفَتْ ثَمَرَةُ هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي وُصِفَتْ صِفَتُهَا حِينَ جَادَ الْوَابِلُ فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا الْوَابِلُ فَالطَّلُّ، كَذَلِكَ يُضَعِّفُ اللَّهُ صَدَقَةَ الْمُتَصَدِّقِ وَالْمُنْفِقِ مَالِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَنٍّ وَلَا أَذًى، قَلَّتْ نَفَقَتُهُ أَوْ كَثُرَتْ لَا تَخِيبُ وَلَا تُخَلَّفُ نَفَقَتُهُ، كَمَا تُضَعَّفُ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صِفَتَهَا قَلَّ مَا أَصَابَهَا مِنَ الْمَطَرِ أَوْ كَثُرَ لَا يُخَلَّفُ خَيْرُهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ[٣].

ثانيًا: الدلالة المعنوية في تركيب جملة الفاصلة القرآنية:

جاءت جملة الفاصلة: ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ استئنافية اسمية[٤].

الغرض منها: التقرير والتأكيد على ثبوت صفة ﴿ البصير﴾ لله- عز وجل-، ولما لهذا «الاسم العظيم — البصير – مقتضياته من الذل والخضوع ودوام المراقبة والإحسان في العبادة والبعد عن المعاصي والذنوب»[٥].

ومن يتأمل الآية يتبين له ذلك.

فقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾، يقول ابن جرير الطبري: «يعني بذلك ﴿ والله بما تعملون﴾ ﴿أيها الناس في نفقاتكم التي تنفقونها بصير﴾[٦] وقد صدرت جملة

(١) «جامع البيان»، لابن جرير الطبري، (٤/ ٦٧٢، ٦٧٣).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) انظر: «التفصيل في إعراب آيات التنزيل»، لعبد اللطيف الخطيب وآخرون (٦٣/٣).

(٥) «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر، (ص ١٥٢).

(٦) «جامع البيان»، لابن جرير الطبري، (٤/ ٦٧٩).

الفاصلة «بلفظ الجلالة الذي يدل في ذاته على العلو والسلطان والألوهية الحق، ثم إن هذا الظاهر فوق عبادة يعلم علم من يبصر ويعاين ويرى بكل ما يعمله الناس من خير وشر وما يقصدون في صدقاتهم[١].

– وقدم الجار والمجرور ﴿ بما تعملون﴾، وهو متعلق بـ﴿ بصير﴾ لإفادة الحصر، ومراعاة، «والحصر هنا إضافي للتهديد؛ لأن الله بصير بما نعمل وبغيره[٢].

وتقديم ﴿بما تعملون﴾ بقوله: ﴿ والله بما تعملون بصير﴾ فيه «التفات[٣] من الغيبة إلى الخطاب الباعث على فعل الإنفاق الخالص لوجه الله، والزاجر عن الرياء والسمعة»[٤]. يقول الآلوسي: «قوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازي كلًّا من المخلص والمرائي بما هو أعلم به، ففي الجملة ترغيب للأول، وترهيب للثاني، مع ما فيها من الإشارة إلى الحط على الأخير، حيث قصد بعمله رؤية من لا تغني رؤيته شيئًا، وترك وجه البصير الحقيقي الذي تغني وتفقر رؤيته– عز وجل–»[٥].

– ثالثًا: الدلالة المعنوية للفاصلة:

أ– جمال الفاصلة واستقرارها: ختم الله– عز وجل– هذه الآية بصفة اسمه الكريم ﴿بصير﴾، يقول ابن القيم: «﴿البصير﴾: الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة

(١) «زهرة التفاسير»، لأبي زهرة ، (٢/٩٨٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، لابن عثيمين، سورة البقرة، (٣/ ٣٢٧).

(٣) الالتفات لغة: مأخوذ من الفعل لفت وهو يدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة. لسان العر ب، لابن منظور، مادة لفت (٥ /٤٠٥٢).
اصطلاحًا: هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدارًا للسامع، وتجديدًا لنشاطه، وصيانة لخاطره. من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه» – البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ص: ٨٢٠.

(٤) «الدر المصون »، للسمين، (٢/٥٩٥).

(٥) «روح المعاني»، للآلوسي، (٢/ ٣٦).

الصغيرة وأعضاءها ولحمها ودمها ومخها وعروقها، ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء[١] فأفاد لفظ بصير في الآية أمراً زائداً على كونه واسعًا»، والمعنى: أي: بصير، لا يخفى عليه منها، ولا من أعمالكم فيها وفي غيرها شيء، يعلم من المنفق منكم بالمن والأذى، والمنفق ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من نفسه، فيحصي عليكم حتى يجازي جميعكم جزاءه على عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وإنما يعني بهذا القول- جل ذكره- التحذير من عقابه في النفقات التي ينفقها عباده، وغير ذلك من الأعمال أن يأتي أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهي عنه، أو يفرض فيما قد أمر به؛ لأن ذلك بمرأى من الله ومسمع، يعلمه ويحصيه عليهم، وهو لخلقه بالمرصاد»[٢].

«وأما قوله: ﴿ بصير﴾ فإنه مبصر صرف إلى بصير، كما صرف مبدع إلى بديع، ومؤلم إلى الأليم»[٣].

نتبين مما سبق:

دقة الفاصلة وانتقائها بما يتفق ومقام الآية ومناسبتها لسياق الآية داعيا لدقة تحديد المعنى فتكون للفاصلة خصوصية الدلالة بما لا يتسع له دلالات الكلمات الأخرى.

ب- مناسبة الفاصلة للآية: جاءت الفاصلة "بصير" في غاية الدقة لسياق الآية.

يقول سيد قطب: «لما كانت الآية تتحدث عن صنفين من الناس: الأول ذو قلب صلد، ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، والثاني ذو قلب عامر

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم، (ص ٧٩).

(٢) «جامع البيان»، لابن جرير الطبري، (٤/ ٦٧٩).

(٣) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (٢/ ٤٢٨) عند قوله تعالى {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} [البقرة: ١١٠].

بالإيمان أندى ببشاشته، ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله، فالأول لم يثمر خيرًا، ولم يعقب مثوبة بعكس الثاني الذي أحيته الصدقة وتضاعف له الأجر، ولما كان المشهد مجالًا للبصر والبصيرة من جانب، ومرد الأمر فيه كذلك إلى رؤية الله ومعرفته بما وراء الظواهر، جاء التعقيب لمسة للقلوب(١) ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾، «وفيه أيضًا تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص»(٢).

هذا وخصت الآية التي بين أيدينا بفاصلة ﴿ والله بما تعملون بصير﴾، ولم يعبر سبحانه كما في آيات أخر بلفظ: ﴿**والله بما تعملون خبير**﴾ [البقرة: ٢٣٤]، أو: ﴿**والله بما تعملون عليم**﴾ [البقرة: ٢٨٣] لحكمة مناسبة؛ منها: أن قوله – تعالى–: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ «وردت في سياق ضرب المثل لمن ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم، فلما كان الإخلاص والبعد عن الرياء والنفاق مما خفي ويحتاج العلم به إلى قوة الإدراك والفطنة؛ ناسبه ذكر بصير، ولما كان الإنفاق خاص وغيره من الأعمال عمومًا هو محل العناية والاهتمام، وأريد مراعاة الفاصلة؛ ناسبه تقديم بما تعملون، ومن ثم كان قوله: ﴿ والله بما تعملون بصير﴾»(٣).

أما قوله – تعالى–: ﴿ والله بما تعملون خبير﴾ «تقدم فيها الحديث عن عدة من توفي عنها زوجها، وبيان ما يحل لأولي الأمر من النكاح بالمعروف، فلما كانت مدة العدة مما تختص به النساء، وكانت الرغبة في النكاح قد تحدث لهن، لا ينتظرن حتى انتهاء الأجل؛ ناسبه الترهيب بذكر ما يدل على أن الله هو العالم بكنه كل شيء، المطلع على حقيقته»(٤)، كالعدة والنكاح وغيرهما من الأعمال «فإن أضمرن أو كتمن

(١) انظر: «في ظلال القرآن»، لسيد قطب، (٣/ ٣٠٨، ٣٠٩)، باختصار.

(٢) «أنوار التنزيل»، للبيضاوي (١/ ١٥٩).

(٣) «استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات»، د. سعد عبد العظيم محمد، (ص ٢٥٣).

(٤) «زاد المسير»،لابن الجوزي، (١/ ٢٧٦)، البقرة، عند قوله:{فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف}[البقرة:٢٤٠].

شيئاً لا يجوز فعلم الله سبحانه محيط بذلك، وهو الخبير به»[١].

أما قوله – تعالى–: ﴿ والله بما تعملون عليم﴾ «فتقدم فيها قوله – تعالى–: ﴿**ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**﴾ [البقرة: ٢٨٣] «لما أريد الترهيب من الكتمان بما يدل على علم الله الظاهر والباطن؛ ناسبه ذكر عليم، ومن ثم كان قوله: ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾»[٢].

كما خصت الآية التي بين أيدينا بفاصلة ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾، ولم يعبر ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾ [الحجرات: ١٨]؛ لحكمة مناسبة، منها:

أنه «لما كان السياق أكثر تعلقًا بالحاضر وبالأعمال؛ ناسبه عدم ذكر ﴿كان﴾ وتقديم ﴿ بما تعملون﴾»[٣].

أما قوله – تعالى–: ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾ فالآية «تبدأ بقوله – تعالى–: ﴿ **إن الله يعلم غيب السموات والأرض** ﴾ [الحجرات: ١٨]، فلما كان السياق أكثر تعلقًا بالحاضر واهتمامًا بصفات الله؛ ناسبه عدم ذكر (كان) وتقديم (بصير) بقوله: ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾»[٤].

يقول ابن عاشور: «وجملة ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾ معطوف على جملة ﴿ إن الله يعلم غيب السموات والأرض﴾ عطف الأخص على الأعم؛ لأنه لما ذكر أنه يعلم الغيب، وكان شأن الغائب أن لا يرى؛ عطف عليه علمه بالمبصرات احتراسًا[٥] من أن يتوهموا أن الله يعلم خفايا النفوس وما يجول في الخواطر ولا يعلم المشاهدات»[٦].

---

(١) ملاك التأويل، لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، (١/٧٠) .

(٢) المرجع السابق، ص : ٢٥٣ .

(٣) «استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات»، د. سعد عبد العظيم محمد، (ص ٢٧٤).

(٤) المرجع السابق، (ص ٢٧٥).

(٥) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور، (٢٦/ ٢٧١).

(٦) الاحتراس لغة: التحفظ والمبالغة فيه، والحرس كالحِرَز، يتقاربان معنى كتقاربهما لفظًا. «عمدة الحفاظ»،

رابعًا: قيم معنوية ودلالات تستفاد من الفاصلة[١]

١- استشعار مراقبة الله: ختم- سبحانه- الآية بفاصلة «بصير» ليعلم الناس عظيم مراقبته - سبحانه وتعالى- لأحوالهم، واطلاعه على خفايا نفوسهم، فيراقبوه -سبحانه- في أفعالهم وأقوالهم، كما يراقبهم سبحانه، فتمتلئ قلوبهم عند العمل بعظمته، فيعلموا ما يعملون محسين بأنه مطلع على ما تخفي صدورهم، فتتجه القلوب - تحت تأثير هذه الرقابة المسيطرة العليمة التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة - إليه سبحانه وحده، ولا تتجه إلى سواه».

٢-حسن القصد في الإنفاق: إن للفاصلة "بصير" معنى آخر مناسباً مناسبة أخص للسياق الخاص بحسن القصد في الإنفاق، وهو بيان أن الله سبحانه و- تعالى- يعلم الذين أخلصت قلوبهم في الصدقة فلم تبتغ رضا أحد غير الله - تعالى-، فيجازيها على إخلاصها في النية، واحتسابها الخير لوجه الله الكريم، ويعلم من ينفق رياء أو يتبع ما ينفق بالمن والأذى فيحبط عمله"[٢].

٣-تربية المهابة في نفس المؤمن: فقد صدرت جملة الفاصلة بلفظ الجلالة الذي يدل في ذاته على العلو والسلطان والألوهية الحق؛ ثم إن هذا القاهر فوق عباده يعلم علم من يعاين ويرى بكل ما يعمله الناس من خير وشر، وما يقصدون في صدقاتهم»[٣].

للسمين الحلبي، (١/ ٣٩٠).

اصطلاحًا: هو أن يكون الكلام محتملًا لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال. «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي، (ص ٦٦٢).

(١) انظر: «زهرة التفاسير» لأبي زهرة، (٢/٩٨٨/٩٨٩) بتصرف

(٢) المرجع السابق، ص: ٩٨٩

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

المطلب الرابع: التفكر في الكشف عن حكمة التشريع

قال – تعالى–: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَأَصابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٦].

أولًا: معنى المثل:

«قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ ﴾ مَثَلًا لِنَفَقَةِ الْمُنَافِقِ الَّتِي يُنْفِقُهَا رِيَاءَ النَّاسِ، لَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، فَالنَّاسُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ صَدَقَتِهِ، وَإِعْطَائِهِ لِمَا يُعْطَى وَعَمَلِهِ الظَّاهِرِ، يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَحْمَدُونَهُ بِعَمَلِهِ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي حُسْنِهِ كَحُسْنِ الْبُسْتَانِ وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي ضَرَبَهَا اللَّهُ– عَزَّ وَجَلَّ– لِعَمَلِهِ مَثَلًا مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُ ذَلِكَ الَّذِي يَعْمَلُهُ فِي الظَّاهِرِ فِي الدُّنْيَا لَهُ فِيهِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا، يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَدَمِهِ وَمَالِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَيَكْتَسِبُ بِهِ الْمَحْمَدَةَ وَحُسْنَ الثَّنَاءِ عِنْدَ النَّاسِ، وَيَأْخُذُ بِهِ سَهْمَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ مَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَكْثُرُ إِحْصَاؤُهَا، فَلَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ الْجَنَّةَ الَّتِي وَصَفَ مَثَلًا بِعَمَلِهِ، بِأَنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، ثُمَّ قَالَ– جَلَّ ثناؤُهُ–: ﴿**وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ**﴾ [البقرة: ٢٦٦] يَعْنِي أَنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ أَصَابَهُ، الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ أَطْفَالٌ، ﴿**فَأَصَابَهَا**﴾ [البقرة: ٢٦٦] يَعْنِي فَأَصَابَ الْجَنَّةَ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ ﴿**فَاحْتَرَقَتْ**﴾ [البقرة: ٢٦٦] يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ جَنَّتَهُ تِلْكَ أَحْرَقَتْهَا الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا النَّارُ فِي حَالِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَضَرُورَتِهِ إِلَى ثَمَرَتِهَا بِكِبْرِهِ وَضَعْفِهِ عَنْ عِمَارَتِهَا، وَفِي حَالِ صِغَرِ وَلَدِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ إِحْيَائِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا، فَبَقِيَ لَا شَيْءَ لَهُ، أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَى جَنَّتِهِ وَثِمَارِهَا بِالْآفَةِ الَّتِي أَصَابَتْهَا مِنَ الْإِعْصَارِ الَّذِي فِيهِ النَّارُ، يَقُولُ: فَكَذَلِكَ الْمُنْفِقُ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ، أَطْفَأَ اللَّهُ نُورَهُ، وَأَذْهَبَ بَهَاءَ عَمَلِهِ، وَأَحْبَطَ أَجْرَهُ حَتَّى لَقِيَهُ، وَعَادَ إِلَيْهِ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَى عَمَلِهِ، حِينَ لَا مُسْتَعْتَبَ لَهُ وَلَا إِقَالَةَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَلَا تَوْبَةَ، وَاضْمَحَلَّ عَمَلُهُ كَمَا

احْتَرَقَتِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صِفَتَهَا عِنْدَ كِبَرِ صَاحِبِهَا وَطُفُولَةِ ذُرِّيَّةِ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا فَبَطُلَتْ مَنَافِعُهَا عَنْهُ»(١).

«وعلى هذا يكون المقصد والمرمى الاستمرار على عمل البر والمداومة عليه في هذه الدنيا»(٢).

فعن عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: سَأَلَ عُمَرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: فِيمَ تَرَوْنَ أُنْزِلَتْ ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ**﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ فَقَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ، فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ» فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»، فَقَالَ عُمَرُ: «قُلْ يَا ابْنَ أَخِي وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ»، قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ»؟ قَالَ: «لِعَمَلٍ»، فَقَالَ عُمَرُ: «رَجُلٌ غُنِيَ بِعَمَلِ الْحَسَنَاتِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، [ص:٦٨٤] فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ كُلَّهَا»(٣).

ثانياً: الدلالة المعنوية في تركيب جملة الفاصلة:

جاءت جملة الفاصلة: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ «جملة اسمية استئنافية تعليلية»(٤).

والتشبيه في قوله – تعالى–: ﴿كذلك يبين الله لحكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ «فيه تشبيه الكلى العام من بيان الله – سبحانه وتعالى– في كل آياته بهذه الصورة

(١) «جامع البيان»، لابن جرير الطبري، (٤/ ٦٨٠، ٦٨١).

(٢) «زهرة التفاسير»، لأبو زهرة، (٩٩٢/٢).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: { أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب } (٩/ ٦٢)، (ح: ٤٥٣٨)، «فتح الباري».

(٤) انظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل، لعبد اللطيف الخطيب وآخرون (٢٩٧/١).

الجزئية»[١] "ولعل في قوله – تعالى-: ﴿لعلكم تتفكرون﴾ هي في الرجاء، وليس الرجاء من الله – تعالى-؛ لأن الله – سبحانه وتعالى- عالم بكل شيء، فلا يكون منه رجاء وتوقع؛ لأن ذلك شأن من لا يعلم، إنما يكون منه – سبحانه وتعالى- تحقق وتأكد؛ وإنما معنى الرجاء هو المتفق مع ذات البيان؛ لأن ذلك من شأنه أن يرجى معه تفكر المتفكر وتدبر المتدبر»[٢].

والمعنى: «كما بين لكم ربكم – تبارك وتعالى- أمر النفقة في سبيله، وكيف وجهها، وما لكم، وما ليس لكم فعله فيها، كذلك يبين لكم الآيات الشرعية والكونية، فيعرفكم أحكامها، وحلالها، وحرامها، ويوضح لكم حجمها؛ لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا وتفهموا الأمثال والمعاني وتنزلوها على المراد منها فلوا تصور من له أدنى مُسْكَة من عقل هذا المثل حق تصوره وتأمله كما ينبغي ، لم يقدم على ما فيه مضرته وندامته، ولما سولت له نفسه إحراق أعماله الصالحة وإضاعة أجورها»[٣] .

ثالثًا: الدلالة المعنوية للفاصلة:

أ- جمال الفاصلة واستقرارها: ختم الله- سبحانه- الآية بفاصلة تتفكرون" دون غيرها من الألفاظ لدقتها في تحديد المغني ولبيان ذلك سوف نتناول معنى التفكر لغة واصطلاحا

– التفكر لغة: يقول ابن فارس "فكر: الفاء والكاف والراء تردد القلب في

(١) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٢/٩٩٤).

(٢) المرجع السابق، (٢/٩٩٥)

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (٤/٦٩٣)، طريق الهجرتين، لابن القيم، ص : ٣٧٢، القرآن العظيم، لابن كثير (١/٦٩٦)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (١١٤ – ١١٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن عثيمين، سورة البقرة (٣/٣٣٢).

الشيء. يقال تنكر إذا قلبه معتبراً. ورجل فكير كثير التفكير"[١]، "والتفكر مأخوذ من فكر يفكر، مصدره: فِكُرٌ بالكسر وفَكْرٌ بالفتح وهو أفصح، وفَكَّر في أمره: مبالغة في فَكَر، وهو أشيع في الاستعمال من فَكَر، أي: أكثر من الفكر، يفكِّرُ تفكيرا"[٢]

– وعليه فإن التَّفكر: "مصدر الفعل تَفَكَّر، وهو فعل ثلاثي مزيد بحرفين أصله: فَكَرَ على وزن فعل، فزيدت الكاف للتكثير، فأصبح فَكَّرَ، ثم زيدت التاء للتكلف، فصار تَفَكَّر"[٣].

– فتبين أن لفظ التفكر "أبلغ المصادر التي أطلقت من هذه المادة؛ لأنه يحتوي على ثلاثة معان لا توجد مجموعة إلا فيه: الحدث وتكثيره وتكلفه"[٤] .

أما اصطلاحاً، فالتفكير: "جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح"[٥] .

هذا ومن دقة الفاصلة هنا أنها وردت بصيغة الفعل المضارع ومن المعلوم أن الفعل المضارع يفيد التجدد والتكرار والاستمرار[٦].

ومعلوم أن ممارسة العمل مع التكرار والاستمرار تؤدي إلى العمق في معرفته والخبرة.

وفي التعبير عن التفكر في القرآن بهذه الصيغة ما يؤكد أن القرآن يجعل من العمق المبني على إعادة الفكرة في الأمر، وعرضه أمام العقل مرات ومرات صفة مميزة في

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/٤٤٧).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري، (١٠/١١٦). لسان العرب، لابن منظور (٤/١١٢٠). القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/٥٨٨).

(٣) انظر: المراجع السابقة، ومفهوم التفكر في ضوء القرآن، لمحمد بن زيلعي هندي ص: ٦٤ مجلة الدراسات القرآنية العدد (٢) ١٤٢٩هـ

(٤) «مفهوم التفكر» لمحمد بن زيلعي، ص: ٦٥.

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/٢٤٤)

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/٢٩٦، ٧/١٣٤).

مفهومه للتفكر[١].

كما أن لفظ «تتفكرون» فيه تنويهًا بأهمية القصص في التفكر والاعتبار، يقول ابن عاشور: «فإن في القصص تفكرًا وموعظةً، فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم؛ لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنًا عظيمًا في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر ومشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس»[٢].

يقول ابن جرير الطبري: "قوله «تتفكرون» أي: عند هذه الفاصلة: "لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها وتعملوا بما فيها من أحكام فتطيعوا الله به"[٣]، ويضيف الألوسي قائلاً: "أو لعلكم تعملون أفكاركم فيما يفني ويضمحل من الدنيا وفيما هو باق لكم في الأخرى فتزهدون في الدنيا وتنفقون مما أتاكم الله – تعالى– منها وترغبون في الآخرة ولا تفعلون ما يحزنكم فيه"[٤].

ب – صلة الفاصلة بالآية:

«لما بين– سبحانه– لهم هذا البيان الذي أبهت بلغاء الإنس والجان، نبههم على تعظيمه لتبجيله وتكريمه بقوله مستأنفًا: ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾. أي: ليكون حالكم حال من يرجى أن يحمل نفسه على الفكر، ومن يكون كذلك ينتفع بفكره، وقال الحرالي: لتبنون الأمور على تثبيت لا خير في عبادة إلا بتفكر، كما أن الباني لا بد أن يفكر في بنائه، كما قال الحكيم: أول الفكرة آخر

(١) مفهوم التفكر في ضوء القرآن، لمحمد بن زيلعى هندي، ص٧٠، مجلة الدراسات القرآنية، العدد (٢) ١٤٢٩هـ.

(٢) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٧٩/٩) عند قوله تعالى: {ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون} [الأعراف: ١٧٦].

(٣) جامع البيان، لابن جرير الطبري (٦٩٣/٤).

(٤) روح المعاني، للألوسي (٣٨/٣).

العمل، وأول العمل آخر الفكرة، كذلك من حق أعمال الدين ألا تقع إلا بفكرة في إصلاح أوائلها السابقة وأواخرها اللاحقة، فكانوا في ذلك صنفين بما يشعر به (لعلكم) مطابقين للمثل متفكرًا مضاعفًا حرثه وجنته وعاملًا بغير فكرة تستهويه أهواء نفسه فتلحقه الآفة في عمله في حرثه وجنته من سابقة أو لاحقه»[(١)].

ومما يدل على إحكام الفاصلة في كتاب الله – تعالى– إحكامًا فيه دقة الصنعة وإحكام الروعة ومناسبتها لما قبلها أننا نجد أن الآية التي بين أيدينا خصت بفاصلة: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾، ولم يعبر– سبحانه– كما في آيات آخر بلفظ: ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة**﴾ [البقرة: ٢٢٠]، أو ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون** ﴾ [النور: ٦١] وبيان ذلك ما يأتي:

– الآية التي بين أيدينا «لما كانت مما غمض فهمه على كثير من أكابر الصحابة، ودل ذلك على أن المراد لا يتوصل إليه إلا بإعمال الفكر إعمالًا بحيث تتوفر العناية على التفكير وتخلص له وتنصرف بجملتها إليه؛ ناسبه عدم ذكر الجار والمجرور[(٢)] بقوله: ﴿ لعلكم تتفكرون﴾[(٣)].

أما قوله – تعالى–: «﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة ﴾ فقد بدأت الآية بقوله – تعالى–: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾، فلما

(١) «نظم الدرر»، للبقاعي، (٤/٨٨ – ٩٩).

(٢) كما في قوله تعالى: { كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة } [البقرة: ٢٢٠].

(٣) استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، لسعد عبد العظيم محمد، ص: ٢٤١ وانظر إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (١/٢٢٠)

كانت الموازنة بين منافع الخمر والميسر وإثمهما، والموازنة بين منافع الإنفاق ومضار البخل مما يحتاج إلى إعمال العقل والفكر، وكان ذلك مؤديًا إلى ما هو أعم من هذا، وهو التفكر في الموازنة بين الدنيا والآخرة؛ ناسبه قوله: ﴿كذلك يبن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة﴾»[١].

أما قوله – تعالى–: «﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ فتبدأ بقوله – تعالى–: ﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾، فلما كانت هذه الأحكام الغرض منها ضبط النفوس وردها عن الهوى الذي يؤدي إلى الإغارة على شيء من الأعراض والأموال مما يؤدي إلى ذهاب العقول والتنافر والتناحر؛ ناسب ذلك قوله: ﴿ لعلكم تعقلون﴾»[٢].

هذا ومن بديع مناسبة فواصل آيات المثل في الإنفاق أنه "لما ختم أول آيات هذه الأمثال بهاتين الصفتين[٣]، ختم آخرها[٤] بذلك إشارة إلى أن سعته قد أحاطت بجميع الكائنات فهو جدير بالإثابة في الدارين، وأن علمه قد شمل كل معلوم، فلا يخشى أن يترك عملا"[٥].

وهكذا نجد أن الفواصل القرآنية في أي موضع من مواضع القرآن جاءت متسقة متناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها وسياقها الذي تتحدث .

رابعًا: قيم معنوية ودلالات تستفاد من الفاصلة: إن من معاني الفاصلة ما تشير إليه من بدائع الأسرار، ودقائق الأغراض، بالإضافة إلى قيم ودلالات تستفاد

(١)«استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات»، لسعد عبد العظيم، ص : ٢٤١.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، وانظر: نظم الدرر ، للبقاعي (٣٢١/١٣).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿والله واسع عليم﴾ سورة البقرة: ٢٦١.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿والله واسع عليم﴾ سورة البقرة: ٢٦٨.

(٥) «نظم الدرر»، للبقاعي، (٧٦/٤).

منها.

وفي هذا المثل الرائع ختم الله- سبحانه- الآية بفاصلة «تتفكرون» ليتسع آفاق الفكر في إدراكه، فينال كل منه بمقدار إدراكه، فبيان الله دائمًا من ذلك النوع؛ لتتفكروا وتتأملوا آيه، وتدركوا مراميها القريبة والبعيدة»[(١)]، والتي منها:

«**أولها**: الإشارة إلى أن هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي متاع قليل، وعلى المؤمن أن ينتفع بكل لحظة بعمل الخير يحتسبه عند ربه، كالرجل الذي يكون في شيخوخة فانية فعليه أن يتوقع الموت دائمًا كما يتوقع صاحب هذه الشيخوخة، وعليه أن يعمل الخير عمل من يخشى الفوت، وقد قرب منه الموت.

ثانيها: أن الرياء والمباهاة والاستطالة بعمل الخير تذهب به بل تحرقه، كما يحرق الإعصار الحديقة الغناء.

ثالثها: أن عمل الخير ينمو ويربو وينتج كالحديقة الغناء التي فيها من كل الثمرات والمياه تجري من تحت أغراسها والشمس تمد ثمارها، فتؤتي أكلها بإذن ربها، فهي في نماء مستمر دائم.

رابعها: أن من مطالب الحياة التي يقرها الدين أن يحرص الرجل على أن يترك لأولاده إذا كانوا ذرية ضعافًا، فضلا من المال يستعينون به في شدائد الحياة، ولا يكونون كلًّا على الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن مالك في مرض كان يتوقع الموت منه، وقد أراد أن يتصدق بماله كله فنهاه وأقره على التصدق بالثلث: «إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»[(٢)(٣)].

* * *

(١) «زهرة التفاسير»، لأبي زهرة، (٢/ ٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء، (٦/ ١٣)، (ح: ٢٧٤٢).

(٣) «زهرة التفاسير»، لأبي زهرة، (٢/ ٩٩٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فمن خلال دراسة هذا الموضوع قد تبين لي بعض النتائج؛ منها:

١- الفاصلة هي الكلمة الأخيرة في الآية.

٢- دقة اختيار كلمات فواصل آيات المثل في الإنفاق: ٢٦١- ٢٦٤ – ٢٦٥ – ٢٦٦ ، من سورة البقرة - كما هو الحال في جميع فواصل القرآن – جاءت في غاية التوفيق فتارة جاءت بالترغيب والتشويق "والله واسع عليم" وتارة بالتحذير والترهيب "والله لا يهدي القوم الكافرين" وتارة في بيان شمول علم الله - تعالى- وإحاطته "والله بما تعملون بصير" وتارة بالاتعاظ والتفكر "لعلكم تتفكرون" فتبين أن دقة الفاصلة وانتقائها بما يتفق ومقام الآية داعيا لدقة تحديد المعنى.

٣- البحث في أسرار الفواصل وفي دقائق معانيها ذو أهمية بالغة في بيان معاني القرآن الكريم وتفسيره وإظهار بلاغته التي هي مناط الإعجاز.

٤- للفاصلة خصوصية الدلالة بما لا يتسع له دلالات الكلمات الأخرى.

٥- القرآن يجمع في فواصله بين الوفاء بحق المعنى وتناسب فواصله.

٦- تحقق الفاصلة أغراضاً كثيرة منها التأكيد والتقرير كقوله - تعالى-: "والله واسع عليم" والتعليل كقوله - تعالى- "لعلكم تتفكرون" مما يدل على دقة الفاصلة وانتقائها بما يتفق ومقام الآية.

٧- الفواصل القرآنية منها ما يكون واضحاً جلياً ومنها ما يكون خفيًّا فيحتاج إلى مزيد تأمل وتفكر[١].

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ص ٦٥

٨- أثبت التدقيق في البيان القرآني أن كل كلمة في القرآن الكريم لا يمكن أن تؤدي كلمة أخرى معناها وعليه لا يمكن أن يكون اختيار الفاصلة عشوائية أو من أجل التناسق الصوتي بل جاءت محكمة في موضعها تبين عن دلالات معنوية كثيرة عند التأمل والتدبر.

وختاما:

أوجه النظر إلى القائمين في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية إضافة مقرر دراسي يعني بإبراز أوجه الإعجاز القرآني وخاصة البلاغي لتوظيفها في فهم المعاني واستنباط العبر والأحكام والتأمل في روائع أساليب القرآن ونظمه ومن ذلك الفاصلة القرآنية.

* * * *

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العضوية، بيروت، ١٩٨٨م.

٢- **إرشاد والعقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، لأبي السعود، تحقيق: أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٣- **استدراك مسافات من بلاغة الآيات المتشابهات**، سعد عبد العظيم محمد، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠١٥م.

٤- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

٥- **إعجاز القرآن**، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦- **إعجاز القرآن**، لعبد الكريم الخطيب، الكتاب الثاني، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٧- **إعراب القرآن وبيانه**، لمحي الدين درويش، دار ابن كثير، دمشق، ط٤، ١٤١٥هـ.

٨- **أعلام الموقعين**، لابن قيم الجوزي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٧م.

٩- **الأمثال في القرآن الكريم**، لابن قيم الجوزية، تحقيق إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، القاهرة ١٩٨٦م.

١٠- **بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم**، جمعه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٧هـ.

١١- **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان** = أسرار التكرار

في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة.

١٢- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٩٩٤م

١٣- **تفسير البحر المحيط**، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دارسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٤- **التفسير البياني للقرآن الكريم**، لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٥- **تفسير التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٦- **تفسير القرآن العظيم**، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، ٢٠٠٤م.

١٧- **تفسير القرآني العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٧م.

١٨- **تفسير المنار**، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٩- **التفصيل في إعراب آيات التنزيل**، لعبد اللطيف وسعد عبد العزيز مصلوح، ورجب حسن العلوش، مكتبة الخطيب، الكويت، ٢٠١٥م.

٢٠- **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للإمام محمد بن جوير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الرياض، ٢٠٠١م.

٢١- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، راجعه وضبطه: محمد إبراهيم الحفناوي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٢- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخرائط، دار القلم، دمشق.

٢٣- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م

٢٤- **زاد المسير**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٥- **زهرة التفاسير**، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة.

٢٦- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، لابن عقيلة المكي، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، ٢٠٠٦م.

٢٧- **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٤م.

٢٨- **شروح التلخيص**، دار السرور، ط ٢، بيروت، د.ت

٢٩- **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله البخاري، تعليق ابن باز، دار الفكر بيروت ١٩٩٥.

٣٠- **صور البديع: فن الأسجاع**، لعلي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥١م.

٣١- **طريق الهجرتين**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم الرياض، ١٩٩٤م.

٣٢- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٣٣- **الفاصلة القرآنية**، لعبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض.

٣٤- **الفاصلة في القرآن**، لمحمد الحسناوي، ط ٢ دار صادر، عمان ٢٠٠٠م.

٣٥- **فقه الأسماء الحسنى**، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الذهبي، الكويت، ٢٠١٢م.

٣٦- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٢م

٣٧- **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات**، لفضل حسن عباس، دار الفتح، عمان، ٢٠٠٠م.

٣٨- **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير محمد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٣٩- **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الكويت، العدد: ١٥ سنة ١٩٨٩م.

٤٠- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٨

٤١- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٢- **مفاتيح الغيب**، لفخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

٤٣- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني الفاسي، دار الكتب العلمية، بررت.

٤٤- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، حققه: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٥- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤٦- **النكت في إعجاز القرآن**، لأبي الحسين علي بن عيسى الرماني، مكتبة الجامعة الملية الإسلامية، دهلي، ١٩٣٤م.

٤٧- **النكت في إعجاز القرآن**، للرماني، ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد زغلول سلام، ومحمد خلف الله، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩١م.

٤٨- **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي الماوردي، تحقيق: السيد بن المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت. (د.ت).